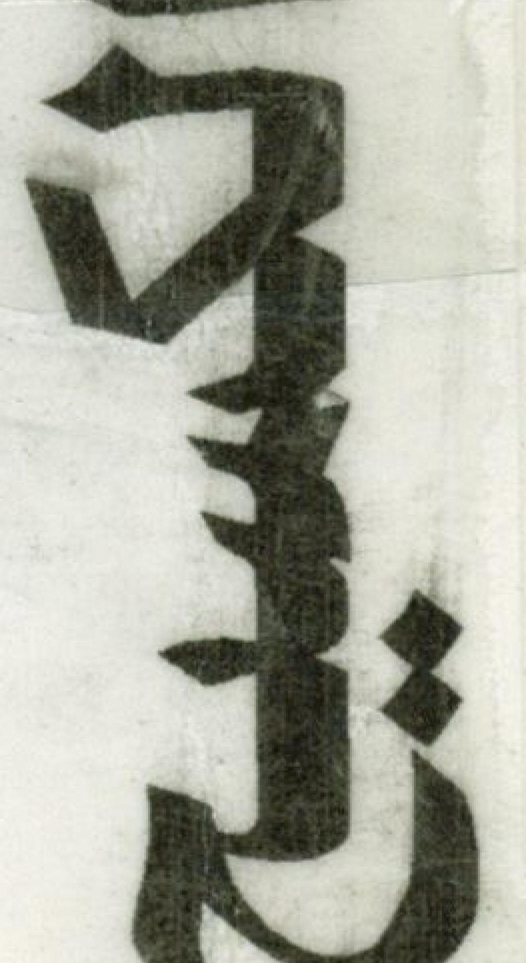
208

خالد العقبي

من دروس الطير الكسيح







العنوان : من دروس الطائر الكسيح
المؤلف : خالد العقبي
الإنجاز : «مآثر» للانتاج الثقافي الرقمي
– توزر / تونس –2007
الغلاف : عمر الجملي
ردمك : 978-9973-61-905-1
الإيداع : سبتمبر 2007

خالد العقبي

من دروس الطائر الكسيح

شعر

2007

الإهداء

إلى كل الذين يؤنسون مداراتي الإنسانية...

إلى كل المحيطين بي أبادلهم ويبادلونني المحبّة

والأمل حتى يشرق لنا جميعا غد أفضل

أهدي هذا العمل البسيط.

صراخ في البريّة

أصرخ في البرية عند الفجر
أصرخ لمّا تؤوب الشمس إلى الآفاق
أصرخ منذ زمان
أبعد غورا من أيّامي
أصرخ في الآذان المملوءة بالطين
أصرخ فوق مآذن آلامي
من يسمعني؟
في هذا الربع الخالي؟
غير رياح التيه..
من يسمعني؟
غير عطاشى البيد
و هلكى المدن المطويّة
أصرخ عند جنوب الماء
بين البحر و بين النهر
أصرخ في البريّة عند الفجر
أصرخ لمّا تؤوب الشمس إلى الآفاق

قلم الشاعر

مرهق...
يترنح فوق رصيف المعاني
ثمل يتراءى
و لكنه في الحقيقة
منقهر و يعاني
فجأة..
أجهش القلم المنزوي
في قفا جيبه الداخلي
وا...زماني ؟؟
قد نزفت من الحبر
صغت على ورق البوح
أحلى القصائد
أفرغت فيها ارتوائي
و لكنه ما رماني ...
أهذا وفاء الرجولة

أم في خراب التذكر
من غبنه قد نساني ؟
مرهق صاحبي
توجع قلبه تحت القميص
يسب الضلوع التي قتلت
حبه للغواني
و أخرج أجنحة للهروب
يرقب حين انفراج الشفاه
لينفذ من زفرات الجحيم
يحلق في شرفات المباني
يحط على كفها المستحيل
إذا خرجت كي تصيد الأماني
و توقد نار الخدود
و في الأعين المشتهاة
تجمد دمع اشتياق
و ضوّت نجوم الغروب
عد إلى تعب الخطوات
عد إلى جوفك يا قلبه النبوي

هذه الطرقات
قادت خطاه إلى ظلمة السجن
إلى ضحكات الرعاع المصابين
بالبله الأفعواني
ها
أيها الشاعر ...الشارع امتص
رواده البخلاء
هل في قصائدك الطاعنات ثواب ؟
هل في انتفاضك -مطحنة للكلام-
أكاسير للحب في أعين الناس
قاص و داني ؟
ها ...
أيها الشاعر
امسك خطاك التي
جرجرتها النهايات
رابط على ربوة الحزن
تضرب كفا بثاني
سماء العطاءات

لا تمطر اليوم فلسفة للخلاص
فأين المناص؟
و في كل زاوية
مخفر و زنيم
و طوابير من غنم للتهاني
ها...
أيها الشاعر
اخلع حذاءك
أنت بوادي النفاق
فاكتب كلام الأغاني
هذا زمان
تحول حنظله مستساغ المذاق
فلا تحرم الشعب من تخمة
يموت على إثرها في ثوان ؟؟؟؟

حواريّة

طوّقتني ذراعاك ذات مساء
حينما الشجر الأخضر نادى
للعصافير قبل الغروب
طوّقتني ذراعيك
في لحظة من شرود
سافرت فيها إلى كربلاء
باحثا في الثنايا
عن الخطوات التي
أرهقتها الدروب
أفتّش عن ظل نخلة
و أطلب قطرة ماء
و حين انتبهت
وجدت ذراعيك أطول من كل نخلة
و ظلّك عن كل ظل ينوب
تأمّلت عينيك ذات الصفاء
تأمّلتها تستغيث

و تلك الدموع الحسيرة
من بين جفنيك توّاقة للهروب
و خدّيك
آه..رأيتهما
أجردان من الوهج البدوي
و حيّرني الحزن في وجهك
المكتوي بالشحوب
و تنهدت...أطرقت...
ثم انفجرت تغوصين
في شهقات البكاء
مددت لك القلب مدمعة
فابتسمت و أومأت لي :
يا فتى
قلبك الثلج أملكه في يدي
هل ترى عاشقا
يتمنى فؤاد الحبيب يذوب ؟؟

نشرت في صحيفة"العرب" الصادرة في لندن بتاريخ 1999/10/19

بعد الذي قد كان

النجم في قلب الدجى
يا صاحبي حيران
و الغرفة الظلماء نامت
تحت ظل الشمعدان
قد أبحرت عيناي
في لجة الأحزان
و الخافق الربّان
زيتونة شرقية
غربية قد أصبحت
بعد الذي قد كان...

****

و سمعت في عمق الدجى
عزفا يهز الروح
يشعل لهيب الآه
فنهضت من إغفاءتي
و فتحت باب الله

و صرخت في الأكوان
هزّي بجذع الصمت هيّا
حرّري الأفواه
قد فاض كأس الراح
و غدا الفتى سكران
بعد الذي قد كان...
****
و سألت ماء الساقية
عن صاحبي يقظان
بالله ما أحواله لمّا أتى نيسان؟
فأجابت الوديان :
كبّر على جثمانه و اطلب له الغفران
ما عادت الألحان تأتي و لا الأشعار
و استعصت الألوان واربدت الأفكار

و تراه بين الناس يسعى
باهت الآثار
بعد الذي قد كان...
****

و سألت نار المدفأة
عن صاحبي سعدون
لمّا أتى كانون
فأجابني الدخان:
عشق المدى أعماه
و شكا جدار السجن حتى
لانت القضبان , لما قضى في قيده عمر الذي سمّاه
صار الهوا سجّان
و شهيقه اطمئنان
بعد الذي قد كان
****

و سألت عن عصفورة

تنقر على الشبّاك

لمّا أتى أيّار

قالت لي الأفلاك:

طيرا من الرؤيا أتى

من قادم الأيام

يحمل لك البشرى التي

في أسفل الفنجان

و أتى الصدى : إيّاك..

من غدر من يهواك

بعد الذي قد كان...

****

و سألتهم لما هوى عمري إلى النسيان

و تلامع الشيب الذي في الرأس كالأكفان

ماذا ترى قد كان؟

فتراجعت خطواتهم

و تقوست أكتافهم
و احمرت الأجفان
قالوا جميعا إننا لمّا أتى أيلول
صرنا جميعا... كلّنا.. كالريش في الميزان
مات الفتى المسطول
من كان يمشي بيننا , يهمز ضمير الناس
في جوقة السلطان
و يصيح في الميدان:
المجد للخصيان ..
المجد للخصيان...

نصيحة صباحية

املأ صدرك بالهواء النقيّ
هذا الصباح جميل...
عينا حبيبتك البعيدة
تجلّتا في الشمس
نوران مخفيان في الأجفان
تملّى وجهها الزاهي
و خدّاها البهيّان
تملاّها في زهرة البستان
من خلال النافذة
أنفث أماني قلبك المرهف
مع شدو العصافير
و دع آمالك الكبرى
تحيل الصعب إمكانا

مع لحن الشحارير
واجذب ستائرك التي غطّت
سماء الله في الأعلى
و ناجي سمعه الصاغي
لكي يدني المقادير

نافورة أوجاع

على صراط الوقت..
زلّت قدمي
و اختلط السائل منّي
دمعي ودمي
و عظامي غاصت في الوحل
ذاك المتخمّر قبل البدء
و مكثت على حالي
نافورة أوجاع
أروع ما فيها فمي

ليلة خسوف

(مرثية إلى عبد الوهاب البياتي الشاعر و الإنسان)

1

هكذا انطفأت شمعة

و أتانا الخسوف

رحل الدفء و الضوء خلف المدى

و استردّ الوجود العظيم إليه الصّدى

نبرات من الشاعر المستباح

ذاك الذي لا ينام كنوم الدجاجة ...لا

و لا هو يرعى كرعي الخروف

2

هكذا انطفأت شمعة

و أتانا الخسوف

و ظلت على وطن الأغنيات القديمة

تسحق تلك الأنوف

فطالت إلى عتبات السماء

آه ..لو كنت فوق الربى
تمدّ يد الصبر
مستجمعا شهده من زهور تنبّتها كربلاء
آه..لو متّ مثل الحسين
لكان فؤادك بعد انتزاعه
في كل بيت يطوف
يخفّف وقع الحصار
و يجمع شمل الألوف

3

هكذا انطفأت شمعة
و أتانا الخسوف
تغيّرت الحال بين الرخاء و بين الردى
و لكنها الآن لا تتغيّر
رغم رخاء الظروف
آه..يا موجعا بعذاب الضعيف
آه...يا دمعة فوق خدّ رهيف
من يرث الحبّ عنك
و قد متّ، لا ملك في ما ملكت

سوى حشرجات الحروف

4

هكذا انطفأت شمعة

و أتانا الخسوف

و هذا الزمان يجمّع أحلامه

يستحث خطاه إلى المنتهى

يعتريه العزوف

فلم يبق في مستطاعه

رؤيا الغباء

و لم يحتمل سمع قرع الدفوف

5

هكذا انطفأت شمعة

و أتانا الخسوف

و طار الفتى ذو الجناح الحزين

إلى حيث يهفو

هناك على سدّة الخالدين

فقد كان دوما لهوف

إلى السهروردي القتيل

حيث الحقيقة أزهى
لها شجر ذات ظلّ ظليل
و أفنانها دانيات القطوف

6

هكذا انطفأت شمعة
و أتانا الخسوف
و ما عاد في الدار شيء يهون
تحوّلت الناس أغنام راع
تراقبه في وجوف
فهل تستقيم الحياة
إذا صارت الآدميّة لحما و صوف؟؟؟

زقزقة أم مناحة؟

في ذكرى أخي و صديقي توفيق بكوش ..... رحمه الله

في لحظات التماس
ما بين كرب و بسمة
ما بين دمع و فرحة
ما بين فجر جديد
و ألف نهار تبدّى
كنت ألقاك
تستجمع اللحظات السعيدة
كنت في ردهات الزمان استراحة
هبوب نسيم
على واحة لاهبة
و في الضيق
كنت امتدادا و ساحة
و كنت المياه القريبة
و قد مسّنا الجدب

في بيد أيامنا المستباحة
تمددت يا أيّها الظلّ
فاربدّت الجدران
و أجهشت الأسقف المتربة
تنهّد رمل الطريق
من البيت للمقهى
و نوّحت المصطبة
كأني بها فقدت حسّها
بتلك الخطى المتعبة
لا أدري , يا صاحبي
أغناء الطيور
على سطح دارك
زقزقة أم مناحة؟؟

و لكنها الساعة المنكرة

تهزّ قلوب الطيور فتخرسها

يعمّ السكون الرهيب

و يغمر كل مساحة

هي الساعة المبكية

فلا تنفع الرقيا

و لا تستطاب الجراحة

سوى صبر أيوب يا صاحبي

يستحب امتداحه

إذا نادت المقبرة؟؟؟؟

لا تنكسر يا والدي

أقفرت المدينة
قبيل موعد الإقفار , قل بساعة
لصوصها قد أعرضوا عن نهب أيّ شيء
أوباشها قد تركوا مواقع الرقاعة
و المومسات في الماخور كن نائمات
و باعة الحشيش لم يوزعوا البضاعة
و في الشوارع الزاهية المضاءة
تجوّل السكون في أدمغة السكارى
يرتبون خطوهم في منتهى البراءة
و أعين البوليس في بريقها المعتاد
تمنت الرقاد
فالكون في ارتخاءة و الناس في قناعة
و فجأة تفجرت مآذن المدينة
حيّا على الصلاة..حيّا على الفلاح
و ارتفعت أكفنا لله بالضراعة

أدم علينا ربّنا الشخير و الفراش ..
و الدثر السميكة ...
و القطن و الرياش
و اشملنا يا إلاهنا بالعفو و الشفاعة
و جاءت الأخبار بانتفاضة عظيمة
في القدس ...
في مدينة مكلومة يتيمة
و شنفت آذاننا لتسمع الإذاعة
فكانت الشناعة
شناعة يا إخوتي ما بعدها شناعة
الأب دون حيلة للوحش يستغيث
و الشر يجري لاهثا مستعجلا حثيث
و الطفل ظل صامدا يقول في شجاعة:
"لا تنكسر يا والدي
لا تنحني لقاتل ينزع لنا قناعه"

حالة مزرية

و جدت في طريقي المعتّمة
قارورة و قطّة و باب
وقفت كي أدقّ عن ضميري
فردّت الذئاب
عواءها في داخلي
كالنار في الثياب
أطفأتها من تلكم القارورة
شربت من شرابها
حتّى انسكبت مثلما
ينسكب الشراب
و لم أكد أقوم
فقد أتت تدكّني
كل جيوش الروم
كأنما ثاراتها
تطغى على الأحقاب
رأيتني مجرجرا

كالخرقة القديمة
و القطة اليتيمة
تغيّب الأيياب
تسير بي غنيمة
و كنت في ارتخاءتي
لا أرفع الأهداب
لا أستطيع ذلّة
أن أطرد الذباب
و جاءت الكلاب
عيونها كالجمر في أقبية المدينة
تلهث, إذ تقاطر
التشفّي و اللعاب
فلتنظروا في جمعهم
كلابهم ...ذئابهم.. قططهم ...ذبابهم..
و جثتي السقيمة
و ذلك الضمير في سباته الطويل
ينام خلف الباب
ملتحفا صديده يفترش الهزيمة

نادمني الليل

أنا في ليلي الدّاجي عدمت النوم و الراحة
سهرت أعد أكداري و أحصي دمع أشباحه
و أشكو نار أشواقي إلى الأقمار في الأعلى
رأيت الليل يشكوها كسيرا نأي إصباحـــــه
فدق الليل أجفاني و صار نديم تسهيدي
يصب الخمر صهباء يفيض إليّ أقداحـــــه
قصصت عليه أحوالي و بؤسي و انتكاساتي
فكفكف دمعي الجاري و زاد ضياء مصباحه
تجلّى الليل عينيها وزاد الكحـــــل آهاتي
و حين تهز رمشيها تزيد القلب أجـراحـــه
تعثّر في فمي قولي يشدني حسنها البادي
فوجهها نطق إصباح يزيــد الخال إفصاحـــه
و ذاك الصدر يا صاح ,طلاسم أرقت فهمي
و ذاك الخصر تصنيف يجادل وعي شرّاحـــــه

تعالى الله صوّره

ألا يا صوتها الغض، يا صوت الشحارير
إذا ما انساب يسكرني، فتحسدني القوارير

شهيٌّ الثغر بسمته تأجج نار أعماقي
و خدّه غصن تفّاح ,ينادي للعـــــصـــــافيـــر

و جسمه مرمر صافي، يغازل كـــــف نحات
تعالى الله صوره، و أبطــــــــل كـــل تصوير

إذا ما هاتفي ارتفعت به الأنغام تخبرني
بأن البدر يطلبني، أعاقتني التعابيـــر

أرد بصمت صحرائي و أصغي همسه الساحر
فأسمع عزف ألحان، تجــاريــها المزامير

أطير بدون أجنحة إلى أنهار ملهمتـــي
لها الأوراق بستان و أقلامي النـــــواعير

و أخرج نار أشواقي قصيدا من تناهيد
هي البيداء قد تاهت على كثبانها العير

أنا ...الآن، و هنا..

أشعر بالأرض تدور...
أشعر بغمامة حزن داكنة
تحجب عنّي النّور
أشعر بيد تزحف في وجهي..
تمرّ على خدّي المكدور
أتحسّس سبّابتها المنتصبة..
فوق الشفة الملتهبة
تأمر بالصّمت..
ببقائي في شكل الصخرة
ينحتني السلطان
ببراثنه الوحشيّة
تمثالا للطاعة في المدن المسبيّة

****

أتشمّم أنفاسا أعرفها
أعرفها من خلفي

تلاحقني في مشيي ..في جريي..
حين أدور..
حين ألاطف أطفال مدارسنا
حين أحيي عمّال حضائرنا
حين أغازل زهر النرجس
فوق السور...
حين أردّد للنخلة مرثيّتها
حين أغنّي للنهرين أغان منسيّة
حين أذكّر بالأرض المطويّة
في قبضة خنزير مسعور..

****

أشعر بتلاحق أنفاسي..
بتفجّر آهاتي
فأدقّ على الباب المهجور
أطلب قطرة ماء
أطلب حضنا يكفلني..
و إلاها أقوى من عسس المأمور
أصرخ :

وا شعباه ؟؟
تعبت أكتافي من حملي
تعبت أحداقي من دمعي
تعبت أقدامي من دربي
يا "برّوطة" , حتّام أدور
كالجمل المأسور
كالجمل المأسور
كالجمل المأسور

نفطة

معمّدة في مياه الطوفان
مستلقية على ضفاف الصحراء
ترفعين النخل باقة للريح
و تمسكين السبخة الفسيحة
مرآتك العتيقة
في أعراس الدّهر
هلمّي إلى محافل الواحات
تطلق النشيد للقمر
تستقبل النجوم في السمر
و تحكي عن مجالس الحلول و الفناء
و عن ولايا الله يمرحون في السماء
و عن زوايا الذكر و البخور في السحر
يا مهد الغروب الرائع الجميل
هدهدي الشمس في مهدها الوثير
على الكثبان الرطبة النديّة

و هدّئي القرائح النافرة العتيّة
بخمرة الأقداح في الأصيل
فإنّ نار الشعر في الأضلاع تستعر
و إنّ عشق النخل
كالسراط لا يميل

معرفة سابقة

1

صوتك البعيد
كان يناديني منذ الأزل
كنت أسمعه في قماطي
في دوحي الصغير
يأتيني من وراء الأشجار
صوتك الذي كان شبيها
برفرفة طائر وديع

2

حين التقينا.....صامتين
تصافحنا في خجل
لكن عيوننا فيّاضة بالكلام
فيّاضة بنشوة اللقاء

3

أتذكرين حوض السباحة الكبير
في حدائق الروح
على ناصية الأبد

حينما كنا نصفين

منشغلين باكتمالنا

في شتات الجسد

4

كنا غريبين

تائهين تحت الشمس

كنا وحيدين

تحت جناح الأزل

نرضع انتظارنا

و نلعق الأمل

5

حبيبتي

كنت أعرفك منذ زمان

منذ تشكل القلب في جسدي

هناك في ظلمة الأرحام

كنت أعرفك

و تعرفك أمي

في إغماءة الوحام

لا طريق

الطريق ...لا طريق ...

لا خطى..لا علامات..

و لا غايه..

مذ وجدنا...لفّنا التيه

انطلقنا..

نسأل الآفاق

عن شكل النهاية

الطريق...

لا طريق...

لا أياد تتشابك..

تتقاسم وحشة السير

و أطوار الحكايه..

فالمسافات

مسافات انتقام

لن نرى أيّ مناره..

لن نلاقي
أيّ رايه
الطريق...
لا طريق...
لا استراحات ..
و لا ظلّ...و لا نبع سقايه
كلّ ما ثمّة
صمت الميّتين
و سؤالات سكاكين
تذبح الذّات
و تغتال الدرايه..
زمن يتغذّانا
و يرمي قشرنا المحروق
في جوف المنايا
الطريق...
لا طريق...
لا التقاء ترقص الطير له
و تقدّسه الزهور..

لا عناقا ترتوي منه الصدور..

لا مدى غير الغوايه..

و تراتيل الفجور

لا مرايا...

تعكس الدهشة و الحيرة

تستجلي القبور

و تنادي في العرايا:

لا طريق...

لا طريق...

لا طريق...

مواعيد عنيفة

سرت في فلك لا حدود له
مفعم بالشساعة و الامتداد
لا نجمة في ظلامه لي
لا مخدعا للرقاد
و النيازك , كالفحم أدركها
لا تضيء المكان
و تخطأ كل الشياطين و المرده
فلا قوّة النور منها
و لا ضوءها يستعاد
فلك...رصّعته الخرابات
أشلاء منخورة بالية
كأنّ الذي كان فيها تواريخنا الخاليه
و اقتتال العباد
رائحة الموت ممزوجة بالجراد
و دمع تجمّد في علب الزينة الخاويه

و آخر شيء يدل على امرأة

كبّلت في ذيول الجياد

سرت وحدي في ضباب الغياب

أفتّش عن بسمة باقيه

فالابتسام اختفى من زمان

و زهر البنفسج ...عطر البلاد

كلّ شيء يتيه

و يسكر ....يسكر...دون انتهاء

فلا الخمر جفّت...و لا الوعي عاد

من دروس الطائر الكسيح

بردان في كهفي
و نار مشاعلي بردانة
و رؤاي ثلج أحمر و صقيع
بحجارتي حطّمت أكوام الجليد
خرجت ملفوفا بجلد هزائمي
عينيّ في حرب مع الأضواء
في حرب مع الأفق البعيد
و نجم تاه فِي الليل المريع
رأيت طيرا واحدا
يعلو و يسقط موهنا
و له جناح واحد
يضرب به ...يضرب به..
لكنه لا يستطيع
شبهته للنسر
للحدءات السود...آه

ربّما هذا هو العنقاء

كلاّ بل هو الفينيق

يستجمع رماده فجأة

و يطير حيا

في مدى الكون الوسيع

رأيته مترنحا ...متوجعا

نبش الثرى لحدا

تمدد...نام في قبر الحياة

كنومة الطفل الوديع

نادت صخور الكهف

نادتني

فراجعت الخطى

و مشاعلي بردانة

و رؤاي ثلج أخضر و ربيع

نشرت في صحيفة "العرب" بتاريخ1999/09/14

أحكام الغابة

قد انتهى الفرار ياغزالة
و انغرست مخالب الضباع
للغابة الموحشة الكثيفة
أحكامها العنيفة
لك انطلاق الساق في المدى
و للوحوش الصّرخة المخيفة
لها الدّم المنساب و الطرائد السراع
و لمّا غاب النور من عيونك الأليفة
و انتثرت أوصالك الموهنة الضعيفة
على الثرى المرتاع
غيّمت السماء و استدارت الأشجار
و أجهشت أطيارها
تستنهض الأسماع
و كانت البريّة الموفورة السكينة
مرعوبة من دمك المراق

من جلدك المرفوع في المخالب
من قفص الأضلاع
تجرّه الكلاب في شراهة سخيفة
و رفّ عرق واحد في قلبك الملتاع
كأنها بقية من عشق هذا الكون
كأنها ارتعاشة الرحيل و الوداع
و يستمرّ الغاب في لهاثه الرهيب
غزالة جميلة على شفى الغدير
تهز الرأس عاليا مخافة السباع
والركض والزّئير
أنشودة قديمة
على الهوا تذاع
تمجّد القويّ و الجسور و الشجاع
تقول هذا الكون قد بناه عبقري
مؤسسا إيّاه فوق مبدأ الصراع

أنثى أفتقدها

1

أبحث عنها
لا أعرف أنّى بدأت؟
أحمل خصلة شعر
أطول من سيف يمني
أفتّش عن رجليها
في آثار العيس
قافلة مرّت قبل قرون
تحمل عاج الهند
و بعضا من كسوة بلقيس

2

أبحث عنها
في أعشاش الطير
و في أغصان السرو
و أنشر صورتها
عبر شعاع النجم

أنادي عنها في الأسواق
و في كل الساحات أطمع في بعض الأنباء
أبحث عن أنثى أعرفها
تسكن كوخا فوق الماء

3

يتهادى البجع على شرفتها
و طيور النورس تعشقها
و لها في الليل نجوم
تتملّى بعض شمائلها
أنثى لا أعلم قصتها
لكن مدفوع كي أبحث
عنها في كل الأنحاء

4

بين قيامي و منامي
أسمع أوصافا تذكرها
ساحرة تظهر قدّامي
تنطق في مكر و دهاء:
عيناها كعيون مها...خدّاها تفّاح الجنّة...

شفتاها شوق و لماء...
يأ أمّي ما أقوى عظامي
أستحمل هذا الإعياء
أبحث عن أنثى أعرفها
تسكن في قلب الأشياء

5

قد ألقاها و لا ألقاها
ما أكثر أشباهك أنثى
يجري الماء على مجراها
نهر من عشق و عذاب
و ضفافه تنبت ذكراها
تزهرترحالا و غياب
أنثى ما أعسر ملقاها
في زحمة حور و كلاب

من ترى أشكو؟؟

عذّبتني...
من ترى أشكو عذابي؟
جلدتني عاريا وحدي
و قصّت شفتاي
قرضت لحمي بأسنان اكتئابي
و كوتني من جبيني
جرجرتني من ثيابي
و رمتني في جحيم الليل
بردانا و أشكو
من جروح هي مني
فقد ارتدّت حرابي
صوب قلبي
عندما الضبية غابت في سرابي
لعنتي أنّي صغير
في دروب العشق أحبو

رغم شيبي
و هي كالحلوة تغري
فجرى منّي لعابي
عذّبتني
عندما ولّت بعيدة
هي ماغابت و لكن
فيها قد ضاع صوابي
فانظروها ...
في شعاع الشمس
فِي لون الشفق
في مرايا النجمة الزهراء
في سقفي و بابي
و انظروها...
في قراطيسي و شعري
في دواتي و كتابي
هي ما غابت و لكن
أنا من يشكو غيابي

وليمة لأعشاب القهر

1

حدّان في شفتي

لارتعاش القصيد

حين ينتحر السّمع

و عند انتصار الحديد

2

جوع البطون

شيء يهون

إذا أعلن الصّمت

جدولة للدّيون

3

غدا قد يكون غدا

وهذا النهارانقضى

أتذكر حلما رأيناه مشتركا

في زمان مضى؟

تفّاحة قسمت بيننا

نصفها غضب

و النصف زقزقة من رضا

مكاشفة

أتراك من صخر و نار؟
بركان من الغضب المهيض
أترى سكونك خدعة؟
تختال في لهب الزمان
من النقيض إلى النقيض
أتراك و حشيّ المشاعر؟
ساديّ الأسارير
وتفيض عينك
كلّما نظرت مليا
طلعة القمر المريض
هذا زمانك
يستحيل فتات ذكرى
غيمة مرّت سريعا
دون قطر أو وميض
أمسكت بالليل المسرّج

وامتطيت الأمنيات
ركضت على صدر الكآبة
في مدى الحزن العريض
أمّ كلثوم استباحت
صبرك المرّ
استباحت قلبك الجبّار
هدّت برجك العاجيّ
أودته الحضيض
دمدمت ريح الهزيع
والأغاني وقعها الشادي البديع
خمرة عتّقتها
رقرقتها في الكأس
وسقيت ليلا
نام في حضن القريض
نومة القمر المريض

التنّين

غازلني التنّين بعينه الحصيفة
أفاض من أوداجه اللهب
جهنّم كلامه
جهنّم فحيحها يفيض بالغضب
غازلني التنين
لأنني من طينة ليّنة ضعيفة
أسير تحت حائط مسطّر ممتدّ
و لا أقول غير ما يريد أو يحب
أنا الذي أذوب من جمار حدقتيه
و صوته الجهير
و المخالب المخيفة
أنا الذي أخرّ تحت ظلّ ركبتيه
أهاب راحتيه
أخاف من خناقها و الصفعة العنيفة

داهمني التنين
و كنت في إغفاءتي كالطائر الجريح
و سدّ كلّ منفذ للجري و الهرب
أنا له الفريسة
و قلبي الخفّاق في الأعماق ينتحب
فاغرورقت عيناي
و بلّلت ملابس الحرير و القطيفة
نهضت أرتعب
نهضت من مواجعي
و الدمع من محاجري لا زال ينسكب
فما وجدت غيرها الأخبار في الصحيفة
كالعادة الأليفة
تنوء بالسواد في مآتم العرب

ساعة الحائط

يا ساعة الحائط دقّي كما شئت
كلّ الورى ناموا إلّاي يا أنت
لا زلت في ناري أمسح دموع الآه
من خد آثاري لمّا البكا أعياه
في طول مشواري
دقّي كما شئت يا ساعة الآلام
فالليل في داري شيء على الجدران
علّقته صورة
نجماته أطيار و العين نافورة
فاضت بها الأحزان
أنظر إلى المرآة ألقى تجاعيدي
شيبي و تنهيدي
حلمي الذي قد فات
ما عاد لي ...هيهات
و اشتدّ تسهيدي

دقّي كما شئت و لتسمع الأكوان
أنّي هنا سكران
بالصبر يا أنت
حتّى متى أبقى أصلب على الأسوار؟
من أجل عينيك تقتاتني الديدان
و أقول لبّيك
دقّي كما شئت قلبي غدا صوّان
كنت الدم القاني يجري مع الشريان
قد صرت يا أنت
موّال آلامي...تغريدي الدّامي
حزني على ما كان
يا ساعة الحائط يا ساعة الأشجان

الخيط الأحمر

خيطان في كفّي
و خرز المسبحة
من يا ترى وخز الأمير؟؟؟
خيطان من سرواله
كي أعرف التفسير
أخرجت سفر الشعوذة
و لوازم التدجيل
أشعلت نار المبخرة
و رميت لوبانا و ديدانا
و رتّلت الكثير
فامتدّ خيط أحمر
و اجتاز باب المحضرة

و انشدّ خيط أخضر
في إصبعي و انكمش
يشكو مقص الحق يبكي
خائفا مرتعشا
تابعت خيط النار
يسري كثعبان إلى أنثاه و سط الغار
متوقفا عند الذين تسلّحوا للمذبحة
ينسج لهم بزّاتهم
ممزوجة بالعار
و رأيته يلتف حول الرقبة
يخنق صراخ القبرة
في عشّها الدوّار
و يواصل المشوار
يجتاز قصر الملكة

يربط يد الحرّاس
و يسير عبر الأروقة
أوداجه منشرحة
و أميرنا المغوار
في الساحة المنبسطة
يستلهم الأفكار
كي يجعل الأحرار
في عينه المنقعرة
في ضيقة البوقال
أحوالهم كالسمكة

المنديل الطّائر

حين ارتمى الصّبح الوليد
في حجر هذا الكون
ضمّخت أشواقي أنا
فيِ وجهه الطّاهر
فتّحت عيني كي أرى
ظلّ الغصون العارية
ثغر السّما الفاغر
فرأيت منديل التي غازلتها في العيد
يأتيني كالطّائر
أمسكت منديل المنى ساءلته البشرى
فاهتزّ في كفّي اكتوى
يسترجع الذكرى
في ظلّ وادي التيه
قبّلتها في الجيد
فامتدّ من ضلعي لها

غصن الهوى الزّاهر
أبكيك يا منديلها يا شاهد الحرقة
أبكيك دمعا قد شكى في داخل الحدقة
أبكيك غدر البيد
لمّا الخطى في ركبها
آلت إلى الفرقة
و الصّبر يا منديلها
يرتدّ في الخاطر
أبكيك من قدّستها و نبذت كلّ الغيد
أسكنتها في مهجتي
و لففتها بسكينتي
عبد لها و مريد
قلبي تضرّج بالهوى
و دمي على أعتابها
من طعنها يتقاطر

العصافير

العصافير الجميلة
حين غنّت في الخميلة
لم تكن تحتاج إذنا
فهي لا تعلم شيئا
عن صنوف الاحتكار...
أو مزاج الأغنياء...
هي غنّت ...و كفى...
و تنام....
حلمها الشمس صباحا
و اخضرارا في الغصون
و صفاء في السماء
و العصافير الجميلة...
في غيابات القفص
حين غنّت فهي أنّت
ضيقها الدّامي

و فاض الصدر بالشكوى

و غصّ...

عبث الإنسان لمّا

يتباهى في غباء...

بطيور سجناء

و على شكواها تاه..

و انتشى ثمّ ...رقص

أبي

لا زلت كالسنديان
أعلى من كل الأشجار
لا زالت خطواتك الواثقة
تعطي للدروب معنى
و نظراتك الثاقبة
تلهم نور الشمس
مسالك الضياء
لا زلت تهب الظلال مأوى
و تمنح الوقت فرصة للهرب
أنت وحدك تملك نواصيه
و تسلخ من جلده السروج الكابحة
لا زلت تطرز الرضا
ثوبا يستر عورة الشهوة
أبي لا زلت كالسنديان
أبي لا زلت أعلى من كل الأشجار

عندما ترقص النجمة

1

ترقص النجمة لمّا
يغمر الصمت الغدير
تعشق الموت صباحا
في حمى الشمس الجديدة
ثم تبعثها سعيدة
نذر الليل الأخير

2

ترقص النجمة لمّا
يجمع الحبّ القلوب
و هي فوق الماء سكرى
في تلاهيها لعوب
و أنا وحدي أناجي
صورة بين يديّ
و أصبّ الكأس جمّا
لا نديم ولا سمير

3

سمعت شكواي دمعا
و اشتكاء و أنين
خرجت تقطر ماء
و هي تهتزّ حنين
لكؤوس من كميّا
عتقت في مقلتيّ
قبل آلاف السنين
طرقت بابي و قالت:
هيّا يا صاح نطير
لسماء لا تبالي
ظلمة الليل الأخير

4

ترقص النجمة لمّا
يهجر النوم الجفون
يشتكي قلبي المعنّى
من عذاب و شجون
و تموج العين دمعا

و تذوب الرّوح شمعا
في لظى حبّ كبير
حوّل الليل سراطا
فوقه الذكرى تسير

5

لألأ الضوء ظلامي
فاستعدت الأمنيات
نجمتي صارت أمامي
أرتوي بالأغنيات
عن حبيب قد رماني
مستباحا في هواني
لا نصير و لا مجير
غير نجم الليل داني
في رحى الليل الأخير

الشعر

الشعر زاد المسافر
من بلد الجرح نحو الأفق
كلمات مملّحة في العذاب الأليم
زيتونة فقدت زيتها...
في جيوب السجين
فقط....لقمة من رغيف حزين
و يمضي بنا الجوع راحلة
في المدار القديم

الشعر خبز
عجينه من رهبة الكون
من حرقة الرّيب في ردهات الدّماغ
ينضج في صدر من زغردوا للسّراب
لعرس تأجّل ألف سنة
قالوا : لم تكتمل زينة البكر

لعلّ العريس استعاذ بمشنقة و انتهى
لعلّ الضيوف تراوغهم كلمات البلاغ:
" تعالوا ...تعالوا...إلى قصعة المأدبة"
فلم يجدوا غير طعم الفراغ

الشعر ..
ناقتنا الفارض الألف
و إيماننا لا يزال على عتبات "مناف"
لا زالت "اللاّت" تسكن تقديسنا للسّكات
الصّخر لا زال جوهرنا
و الطّين ليس سوى صورة في الغلاف
ترى أيّها الشعر كيف استحلت صناعتنا؟
كيف صرت الهطول التي غمرتنا
في السّنين العجاف؟؟

أنا و البحر و الذكرى..

رأيت البحر متكئا ما بين سفحين
قاسمته الحزنا...
أجهشت فوق الصّخر
زكّيت طوفانه
و الآهة الكبرى
خزّنتها خزنا...
في طيّة بقيت من صدري الخاوي
حتّى إذا لمعت
في عينه الذكرى
أطلقتها فرحا
و صرخت يا بحر...
في عشقنا فزنا

الفهرست

أُنجز هذا الكتاب بمخابر

مآثر للإنتاج الثقافي الرقمي

28 شارع عمر بن الخطاب – توزر

الهاتف : 98.454.050 / 76.452.834

safyaj@gnet.tn

الطبعة الأولى : 1000 نسخة

سبتمبر 2007

ISBN : 978-9973-61-905-1

5,400

9 789973 619051